

الامامة والسياسة

[209] يزيد، كأنك تصف محجوبا، أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقراءه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لآترا بهن، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصرا، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى اﷺ من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فواﷺ ما برحت تقدح باطلا في جور، وحنقا في ظلم حتى ملأت الاسقية (1) وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ، في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر، ومنعتنا عن آبائنا تراثا، ولقد - لعمر اﷺ - أورثنا الرسول عليه الصلاة والسلام ولادة وجئت لنا بها، أما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأذعن للحجة بذلك، ورده الايمان إلى النصف، فركبتم الاعاليل، وفعلتم الافاعيل، وقلتم كان ويكون، حتى أتاك الامر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الابصار، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول اﷺ صلى عليه وسلم وتأميره له، وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحة الرسول، وبيعته له، وما صار - لعمر اﷺ - يومئذ مبعثهم حتى أنف القوم إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدوا عليه أفعاله، فقال صلى اﷺ عليه وسلم: لا جرم معشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري. فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول، في أوكد الاحكام، وأولاها بالمجمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابع، وحولك من لا يؤمن في صحبتك، ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك. إن هذا لهو الخسران المبين. وأستغفر اﷺ لي ولكم. قال: فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال: ما هذا يا ابن عباس؟ ولما عندك أدهى وأمر. فقال ابن عباس: لعمر اﷺ إنها لذرية الرسول، وأحد أصحاب الكساء (2)، وفي البيت المطهر، فإله عما تريد، فإن لك في الناس مقنعا، حتى

(1) الاسقية جمع سقاء وهو القربة. (2) إشارة

إلى حديث رواه ابن كثير في البداية والنهاية 7 / 376 قال لما نزلت آية (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...) دعا رسول اﷺ صلى اﷺ عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي. (*)